مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

في التَّسْلِيْم للعترة الطاهرة:

خِطَابُ السُّؤَالِ وَأَدَبِيَّتُهُ فِي أَقْوَالِ الإِمَامِ الكَاظِمِ عليه السلام
دِرَاسَةٌ فِي قَصْدِيَّةِ الخِطَابِ وَدَلَالَاتِهِ

زهير مُحَمَّد غياث حميضة [1]

[1] جامعة حماة / كُلِّيَّة التَّربية / قسم اللُّغة العربيَّة، سوريا؛
nesrine.sh.91@gmail.com
دكتوراه في اللغة العربية / مدرس

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٥/٣/٦	٢٠٢٥/٧/٢٦	٢٠٢٥/٩/٣٠

المجلــد (٢٣) العــدد (٣٥)
رَبِيع الآخِر ١٤٤٧هـ . أيلول ٢٠٢٥م

DOI:
10.55568/t.v23i35.53-76

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

يسلِّط هذا البحث الضوء على توظيف الإمام الكاظم عليه السلام للسؤال كأداة بلاغيَّة وتربويَّة في خطاباته، موضِّحًا كيف يصبح السؤال وسيلة لإعادة توجيه المتلقِّي نحو الله تعالى، وتصحيح مفاهيم العبادة، وتعزيز الامتثال الحقيقيِّ للأوامر الإلهيَّة، من خلال مقاربة تداوليَّة تحليليَّة تعتمد على نظريَّة الأفعال الكلاميَّة، ويكشف البحث عن أبعاد غير نمطيَّة في تراث الإمام عليه السلام، تجمع بين الأدب والوعظ والإقناع، وتُبرز السؤال كآليَّة تربويَّة لتشكيل الوعي الدينيِّ وتنمية الفكر النقديِّ، ويناقش البحث السياق الثقافيَّ والسياسيَّ للخطابِ الكاظميِّ، ويبيِّن كيف استطاع الإمام عليه السلام تحويل السؤال إلى أداة لبناء وعيٍّ مقاوم، يتجاوز الظرفَ السياسيَّ الضاغط، ويعيد رسم العلاقة بين المتلقِّي والغاية الروحيَّة، ويقدِّم قراءة نقديَّة متجدِّدة تبرز الأبعاد التربويَّة والبلاغيَّة العميقة في خطاب الإمام الكاظم عليه السلام.

الكلمات المفتاحيَّة: الإمام الكاظم عليه السلام، البلاغة، الخطاب، التداوليَّة، الأفعال الكلاميَّة، السؤال البلاغيُّ، الوعي الدينيُّ، الخطاب التربويُّ.

Question Discourse and Its Rhetoric in Sayings of Imam Al-Kadhim (p.b.u.h.): Study on Intent of Discourse and Its Implications

Zuhair Mohammed Ghayath Hamida[1]

[1] University of Hama / Faculty of Education / Department of Arabic, Syria;
nesrine.sh.91@gmail.com
PhD. in Arabic Language/ Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
6/3/2025	26/7/2025	30/9/2025

DOI: 10.55568/t.v23i35.53-76 Volume (**23**) Issue (**35**) Rabi' Al-Akhir 1447 AH September 2025 ADD

Abstract:

This research highlights how Imam Al-Kadhim (peace be upon him) employed the use of questions as a rhetorical and educational tool in his speeches. Then, it clarifies how a question becomes a means of redirecting the audience towards Allah, the Almighty, correcting the concepts of worship, and strengthening true compliance with divine commands through a pragmatic, analytical approach based on speech act theory. The research reveals unconventional dimensions in the legacy of the Imam, combining literature, preaching, and persuasion. It emphasizes the question as an educational mechanism for shaping religious consciousness and developing critical thinking. It also discusses the cultural and political context of the discourse of the Imam, showing how he transforms a question into a tool for building a resistant consciousness that transcends a restrictive political environment and redefines the relationship between the audience and spiritual purpose. A renewed critical reading is presented in this research to highlight the profound pedagogical and rhetorical dimensions in the discourse of Imam Al-Kadhim (peace be upon him).

Keywords: Imam Al-Kadhim (peace be upon him), Rhetoric, Discourse, Pragmatics, Speech Acts, Rhetorical Question, Religious Consciousness, Educational Discourse.

- المقدِّمة:

يمثِّل خطاب الإمام الكاظم عليه السلام نموذجاً فريداً في تراث الأئمَّة، إذ يكشف عن توظيف غير تقليديٍّ للسؤال بوصفه أداة بلاغيَّة ذات بعد معرفيٍّ وتربويٍّ وروحيٍّ، لا يقتصر على الاستفهام الظاهريِّ، بل يمتدُّ إلى توجيه المتلقِّي نحو الله سبحانه تعالى والعبادة الحقيقيَّة والامتثال للأوامر، وتنبع الإشكاليَّة من هذا الاستخدام المقصود للسؤال في خطابه في معرفة كيفيَّة تموضع السؤال كأداة قصديَّة تعيد تشكيل وعي المتلقِّي وتدفعه للتفكُّر في مقاصده الروحيَّة والعمليَّة، ومعرفة الدلالات التداوليَّة والبلاغيَّة لهذا النوع من الخطاب في سياق ثقافيٍّ وسياسيٍّ معقَّد فرضته الضغوط العباسيَّة على الإمام وأتباعه.

وتكتسب هذه الدراسة أهمِّيَّتها من كونها تسلِّط الضوء على بعد مهمل في تحليل تراث الإمام الكاظم عليه السلام، إذ تُعيد تعريف السؤال بوصفه خطاباً أدبيًّا موجَّهًا، يحمل في طيَّاته مقاصد بلاغيَّة عميقة تتجاوز حدود البيان الظاهريِّ إلى صناعة الوعي وتشكيله، كما تعزِّز هذه الدراسة من المقاربات اللِّسانيَّة والبلاغيَّة في قراءة النصوص الدينيَّة، وتفتح أفقاً جديداً لفهم الأئمَّة بوصفهم مربِّين لغويِّين لا مصادر تشريع فقط، وتهدف هذه المقاربة إلى الكشف عن الوظائف المتعدِّدة للسؤال في خطب الإمام الكاظم عليه السلام، وتحليل بنيته الخطابيَّة بوصفه أداة للتوجيه الدينيِّ والروحيِّ، وبيان أثره في تربية الوعي وتحقيق الامتثال الحقيقيِّ للأوامر الإلهيَّة، ولتحقيق هذه الأهداف، اعتمد البحث منهجيَّة تجمع بين التحليل التداوليِّ البلاغيِّ لتحديد مقاصد الخطاب، وتطبيق نظريَّة الأفعال الكلاميَّة لفهم الوظائف التوجيهيَّة للأسئلة، فضلًا عن التحليل النَّصِّيِّ الثقافيِّ الذي يربط النَّصَّ بسياقه التاريخيِّ والدينيِّ، للكشف عن الأبعاد المتداخلة بين النصِّ والواقع.

أوَّلاً- الإطار النظريُّ:

١- خطاب السؤال:

يُعدُّ خطاب السؤال من الأشكال الجوهريَّة في بناء المعنى ضمن العمليَّة التواصليَّة، إذ يتجاوز كونه مجرَّد أداة استفساريَّة أو طلباً للمعلومة، ليغدو أداةً بلاغيَّة وتداوليَّة ذات أبعاد معرفيَّة وتوجيهيَّة، وفي إطار النظريَّة التداوليَّة، يحتلُّ السؤال مكانة مركزيَّة، إذ يُفهم بوصفه فعلاً كلاميًّا ذا قصديَّة خاصَّة تتجاوز الظاهر اللُّغويَّ إلى مقاصد المتكلِّم وتأثيره في المتلقِّي، و"السؤال في التداوليَّة ليس مجرَّد صيغة لغويَّة لاستجلاب معلومة، بل هو فعل كلاميٌّ يتضمَّن أهدافاً متعدِّدة منها طلب المعرفة، أو استدعاء الانتباه، أو إحداث تغيير في موقف المتلقِّي"[١]، فالسؤال بحسب التداوليَّة ليس أداة محايدة أو بريئة، إنَّه فعل كلاميٌّ يحمل نوايا ضمنيَّة تهدف إلى التأثير في المتلقِّي بدرجات مختلفة، فقد يكون طلباً مباشراً للمعرفة كما في الأسئلة التقليديَّة، أو وسيلة لاستدعاء الانتباه وجذب تركيز المتلقِّي، وقد يكون وسيلة لإحداث تغيير في المواقف، سواء من خلال الصدمة الفكريَّة أم دفع المتلقِّي للتفكير في قضايا لم يكن يلتفت إليها من قبل، وهذا الفهم التداوليّ للسؤال يمنحه أبعاداً بلاغيَّة ومعرفيَّة، ويُظهر دوره كأداة لإعادة توجيه الحوار أو خلق مساحة جديدة للتفاعل بين المتكلِّم والمتلقِّي، ويجعله أداة مركزيَّة في بناء الخطاب والتأثير فيه، بمعنى آخر، السؤال في التداوليَّة هو وسيلة لتوجيه الفكر، وتشكيل الرأي، وإعادة تشكيل المواقف المعرفيَّة والسلوكيَّة، وهو أداة توجيهيَّة متعدِّدة الوظائف، تُستخدم بمهارة لتحقيق أهداف بلاغيَّة ومعرفيَّة وتأثيريَّة متنوِّعة، إذ "تُعدُّ الأسئلة أدوات توجيهيَّة في الخطاب، تؤدِّي وظائف تتجاوز الاستفهام إلى التهديد، أو الاستفهام البلاغيّ، أو حتَّى الإقناع، ممَّا يجعل موقعها

١ العمري, محمد. التداولية وتحليل الخطاب, ط١ عمان: دار الفجر, (٢٠١٥), ٤٥.

محوريًّا في الفهم التداوليِّ للخطاب"[٢]، فالسؤال يُطرح للتأكيد أو الإيحاء بمعنى معيَّن، كما في أسلوب التعجُّب، وقد "يُنظر إلى السؤال في التداوليَّة على أنَّه فعل كلاميٌّ معقَّد يجمع بين وظيفة الاستفهام ووظائف أخرى مثل الاستدعاء أو التحدِّي أو التأثير، ممَّا يجعله أحد أهمِّ أدوات التفاعل الخطابيِّ"[٣]، أي رُبَّما يُستخدم كأداة لتوجيه المتلقِّي نحو تبنِّي موقف معيَّن أو تغيير قناعاته عبر إثارته للتفكير أو زعزعة تصوُّراته السابقة.

و"السؤال... أداة لإعادة تشكيل المعرفة وإعادة توجيه الحوار نحو أهداف محدَّدة وفق نيَّة المتكلِّم"[٤]، فالسؤال إذاً ليس تعبيراً عن نقص المعرفة أو الجهل، إنَّه أداة فاعلة في بناء الخطاب وتشكيل المعنى، ووفقاً لهذا التصوُّر، فإنَّ السؤال آليَّة تواصليَّة تُستخدم لإعادة توجيه الحوار، وصياغة المواقف، وتحفيز التفكير، بما يعكس قصد المتكلِّم وتوجُّهاته الخطابيَّة، فالمتكلِّم عبر السؤال يُوجِّه دفَّة النقاش نحو قضايا بعينها، أو يدفع المتلقِّي إلى مراجعة قناعاته، أو يثير التأمُّل ويعيد ترتيب الأولويَّات الفكريَّة، وبهذا يغدو فعلاً بلاغيًّا يحمل في طيَّاته نيَّة المتكلِّم، وقدرته على التأثير في الآخر، وإعادة تشكيل المعرفة بشكل يتجاوز حدود الإجابة المباشرة.

وهذا الفهم العميق للسؤال يبرز أهمِّيَّته في الخطابات ذات البعد التعليميِّ أو التربويِّ أو الفكريِّ، كما هو الحال في خطب الأئمَّة عليهم السلام، إذ يصبح السؤال أداة للتربية وتشكيل الوعي، وليس مجرَّد وسيلة للحصول على معلومة عابرة.

---

٢ حسن, سليم .نظرية التداولية في اللغة والبلاغة, ط٣ القاهرة: مكتبة مدبولي, (٢٠١٧), ٦٠.

٣ ل. إيفانز, كاثرين. مقدمة في تحليل الخطاب التداولي, ترجمة. أحمد عبد الغني, ط١ عمان: دار اليازوري العلمية, (٢٠١١), ١١٢.

٤ جينينغز, تيريزا .خطاب وفعل الكلام, ط٢ لندن: مطبعة جامعة أكسفورد, (٢٠١٤), ٧٨.

٢- مدخل إلى نظريَّة القصديَّة والأفعال الكلاميَّة:

تُعدُّ نظريَّة القصديَّة والأفعال الكلاميَّة من المفاهيم الجوهريَّة في الدراسات التداوليَّة، كونها تعيد النظر في طبيعة التواصل اللُّغويِّ، وتُبرز الأبعاد التفاعليَّة والخطابيَّة للغة، فالكلام فعلٌ مقصود يحمل في طيَّاته نوايا المتكلِّم، ويتضمَّن أفعالاً لغويَّة تهدف إلى التأثير في المتلقِّي وتوجيه سلوكه وفكره، و"القصديَّة (Intentionality) في الخطاب تعني توجيه الكلام بهدف معيَّن، إذ يصبح الفعل الكلاميُّ أكثر من مجرَّد نقل معلومات، بل هو فعل يتضمَّن نيَّة المتكلِّم وتأثيره على المتلقِّي"[٥]، وهي بذلك فعلٌ لغويٌّ مشحون بنيَّة المتكلِّم، الذي يسعى من خلاله إلى تحقيق غاية معيَّنة لدى المتلقِّي، سواء أكان ذلك بالتأثير في قناعاته، أم بدفعه لاتِّخاذ موقف، أم بإثارة إحساس معيَّن بداخله، فالفعل الكلاميُّ هنا يتجاوز البعد التقريريَّ أو الوصفيَّ، ليصبح أداة تفاعليَّة، تحمل في داخلها نيَّة المتكلِّم، ووعيه بما يريد تحقيقه، وما يمكن أن يحدثه هذا الخطاب من أثر.

و"يعتبر مفهوم القصديَّة ركيزة أساسيَّة لفهم اللُّغة بوصفها نظامًا تفاعليًّا، إذ إنَّ الكلام لا يكون ذا معنى إلَّا إذا كان مصحوباً بقصد واضح من المتكلِّم لتحقيق تأثير معين"[٦]، فالقصديَّة هنا تعني أنَّ المعنى ينشأ من تلاقي الكلمات مع نيَّة المتكلِّم وسياق الخطاب، فلا يمكن فهم أي خطاب بشكل كامل إلَّا إذا استوعبنا ما يقصده المتكلِّم وما يريد أن يوصله أو يحقِّقه من خلال كلامه، وهذا المفهوم يُعيد تركيز النظريَّة اللُّغويَّة من البنية النحويَّة أو الدلاليَّة إلى البُعد التفاعليِّ، إذ يصبح الكلام وسيلة لتحقيق غايات عمليَّة، مثل الإقناع، والإفهام، والتحفيز، والتهديد، والنصح، أو غير ذلك، وبهذا تغدو القصديَّة الشرط الأساسيَّ لفهم الخطاب بوصفه أداة تواصل حيَّة بين المتكلِّم والمتلقِّي.

---

٥ سيرل, جون. أفعال الكلام, ترجمة. مصطفى عبد الرازق, ط٢ دمشق: دار المدى, (٢٠٠٨), ٢٢.

٦ غريمز, بول .نظرية الأفعال الكلامية مطبعة جامعة كامبريدج, (٢٠٠٥), ١٩.

و"الأفعال الكلاميَّة تتضمَّن أربعة أنواع رئيسة: الإفصاح (assertives)، الأوامر (directives)، التعهُّدات (commissives)، والتعبيرات (expressives)، وكلُّ نوع من هذه الأفعال يعكس قصد المتكلِّم وتفاعله مع المتلقِّي"[٧]، وهذا التصنيف الذي قدَّمته نظريَّة الأفعال الكلاميَّة يُعدُّ حجر الزاوية لفهم طبيعة الأفعال اللُّغويَّة وأهدافها في التواصل، فكل نوع من هذه الأفعال يعكس القصديَّة الكامنة وراء الخطاب، ويكشف عن أبعاد التفاعل بين المتكلِّم والمتلقِّي، فالإفصاح (assertives) يشمل الأفعال التي يُدلي بها المتكلِّم بتصريحات أو بيانات تهدف إلى تقديم معلومات أو التعبير عن قناعة، والأوامر (directives) تتعلَّق بتوجيه المتلقِّي لفعل شيء معيَّن، سواء بشكل مباشر أم غير مباشر، والتعهُّدات (commissives) تعبِّر عن التزام المتكلِّم بأداء فعل مستقبليٍّ، كالوعد أو التعهُّد، والتعبيرات (expressives) تُستخدم لإظهار المشاعر أو المواقف، مثل الشكر، أو الاعتذار، أو المدح، أو اللوم...إلخ، وهذا التصنيف يعكس تفاعل المتكلِّم مع المتلقِّي، ويُظهر كيف تتشكَّل مقاصد الخطاب ضمن سياق معيَّن، لتنتج أثراً معيَّناً على المتلقِّي، وإنَّ أهمِّيَّة هذا التصنيف تكمن في أنَّه يُتيح فهماً أعمق للخطاب، بوصفه أداة للتأثير والتوجيه وتشكيل المواقف الفكريَّة والوجدانيَّة، غير أنَّ الأفعال الكلاميَّة "تتطلَّب تقييماً دقيقاً للنيَّة والظروف الاجتماعيَّة المحيطة، فلا يمكن فهم فعل كلاميٍّ معيَّن بمعزل عن السياق أو قصد المتحدِّث"[٨]، فأيُّ فعل كلاميٍّ لا يكتمل إلَّا بالنظر إلى نيَّة المتكلِّم والظروف المحيطة بالخطاب، ولا يمكن التعامل مع الكلام ككيان معزول عن سياقه، إنَّما يجب من النظر إلى الإطار الاجتماعيِّ والثقافيِّ والسياسيِّ الذي قيل فيه، وما هي

٧ غريمز, ٣٥.

٨ بوفي, هارولد. أفعال الكلام والتواصل, ط١ بيروت: دار الكتب العلمية, (٢٠٠٧), ٥٢.

المقاصد التي أراد المتكلِّم تحقيقها من خلاله، فالفعل الكلاميُّ حدثٌ تواصليٌّ يحمل في طيَّاته دلالات عميقة، تتأثَّر بعوامل متعدِّدة مثل:

- **نيَّة المتكلِّم**: هل يقصد الإخبار أو الأمر أو التهديد أو الإقناع؟
- **سياق الكلام**: هل هو حوار رسميٌّ، أو موعظة دينيَّة، أو موقف سياسيٌّ؟
- **العلاقات بين الأطراف**: هل هناك سلطة، أو مساواة، أو توجيه معنويٌّ؟
- **الظروف المحيطة**: هل الكلام قيل في زمن الاضطراب، أو في لحظة تعليميَّة، أو في مقام وعظيٍّ؟

هذا الفهم يجعل تحليل الأفعال الكلاميَّة أعمق بكثير من مجرَّد تصنيفها إلى أوامر أو تعهُّدات، ويتطلَّب قراءة دقيقة للنوايا والمقاصد والظروف، لفهم ما الذي يُراد تحقيقه من وراء الكلام، وبناءً على ما سبق تكتسب دراسة الأفعال الكلاميَّة في خطب الإمام الكاظم ﷺ بُعداً خاصًّا، لأنَّها لا تُفهم فقط من خلال بنيتها اللُّغويَّة، إنَّما من خلال سياقها الزمانيِّ والمكانيِّ والدينيِّ، والرسائل التربويَّة والروحيَّة التي تحملها، وكيف كان الإمام ﷺ يستخدمها وسيلة لبناء الوعي وتوجيه القلوب نحو الله تعالى والعبادة الحقيقيَّة.

٣- نبذة عن الإمام الكاظم ﷺ وسياق زمانه:

إنَّ فهم الخطاب الَّذي قدَّمه الإمام الكاظم ﷺ، يستدعي الرجوع إلى السياق التاريخيِّ والسياسيِّ والاجتماعيِّ الذي عاش فيه، إذ كان لهذا السياق أثر بالغ في تشكيل طبيعة خطابه وأسلوبه في التوجيه والتربية، فقد تميَّزت مدَّة إمامته بالتحدِّيات الكبرى والضغوط السياسيَّة التي فرضتها الدولة العباسيَّة، فحمل خطابه أبعادًا متعدِّدة تجمع بين الحكمة والتربية والصبر والمواجهة الهادئة، وتأتي هذه الفقرة لتسلِّط الضوء على حياة الإمام الكاظم ﷺ وسياق زمانه، وكيف أسهمت تلك الظروف في بلورة شخصيَّته وأساليبه الخطابيَّة والتربويَّة.

وقد "ولد الإمام موسى الكاظم عليه السلام عام ١٢٨ هـ، وكانت فترة حياته حافلة بالتحدِّيات السياسيَّة والاجتماعيَّة"[٩]، المتعدَّدة والمعقَّدة، و"هو الإمام السابع من أئمَّة الشيعة الإثني عشريَّة، عاش في مدَّة الاضطرابات السياسيَّة في عهد العباسيِّين، إذ تميَّز بعلمه الواسع وزهده وحنكته في مواجهة الضغوط السياسيَّة"[١٠]، وهذه الصفات كانت ضرورات فرضها الواقع الذي عاش فيه الإمام عليه السلام، إذ كانت الاضطرابات السياسيَّة في عهد العباسيِّين تضغط على الأئمَّة وأتباعهم بشكل كبير، ففي زمنٍ حاولت فيه السلطة العباسيَّة تقويض تأثير الأئمَّة واحتواء أدوارهم القياديَّة، ظهر الإمام الكاظم عليه السلام بوصفه رمزاً للثبات والصبر والحكمة، مستثمراً علمه ليُرسي قواعد الوعي والمعرفة، وزهده ليكون قدوة في الترفُّع عن متاع الدنيا، وحنكته ليواجه الضغوط بذكاء يحفظ للأمَّة كرامتها ويصون رسالتها، وقد "استطاع من خلال علمه وورعه أن يبني قاعدة علميَّة وروحيَّة كبيرة، معتمداً على الحكمة والسؤال كأدوات للتوجيه"[١١].

وقد "تميَّز الإمام الكاظم عليه السلام بأسلوبه العلميِّ وحكمته في إدارة علاقته مع السلطة العباسيَّة، إذ اعتمد على الصمت والكتمان أحياناً، وطرح التساؤلات كأداة علميَّة وروحيَّة في أحيان أخرى"[١٢]، كاشفاً بذلك عن مزيج متوازن بين الحكمة العمليَّة والفطنة السياسيَّة في تعامله مع السلطة العباسيَّة، وعن إدراكه لتعقيدات المرحلة التي عاشها، والتي تطلَّبت أحياناً الصمت والكتمان كخيار حكيم لتجنُّب الفتن وحماية الرسالة، وأحياناً أخرى طرح التساؤلات كأداة علميَّة وروحيَّة، لتحريك العقول، وتربية النفوس، وإثارة الأسئلة الكبرى التي تعيد توجيه الفكر نحو الله سبحانه تعالى والعبادة الحقيقيَّة.

---

٩ الأكرف, حسين . سيرة الأئمة المعصومين, ط٣ (بيروت: دار الفكر, ١٩٩٨), ١٥٨.
١٠ المازني, عبد الله .سير أعلام الشيعة، ج٢, ط١ بيروت: دار الكتب العلمية, (١٩٩٩), ١٢٣.
١١ شاكر, فريد أبو تاريخ الإسلام السياسي, ط٢ بيروت: دار النهضة العربية, (٢٠٠٥), ٢٨٧.
١٢ الجابر, علي. التاريخ السياسي والاجتماعي للأئمة, ط١ قم: دار التوحيد, (٢٠٠٤), ٢٠٣.

ثانياً- الإطار التطبيقيُّ:

١ - السؤال كأداة للتوجُّه نحو الله تعالى:

أ- قال الإمام الكاظم عليه السلام: **"من أراد أن يكون أقوى الناس فليتوكَّل على الله"**[١٣].

على الرغم من أنَّ القول المقدَّم ليس سؤالاً صريحاً، إلَّا أنَّه يحمل في طيَّاته قصديَّة بلاغيَّة تتماشى مع وظيفة السؤال كأداة توجيهيَّة في الخطاب التداوليِّ، ويمكن تفسير عبارة (من أراد أن يكون أقوى الناس) كسؤال ضمنيٍّ موجَّه للمتلقِّي، مثل (هل تريد أن تكون أقوى الناس؟)، ويليه توجيه مباشر (فليتوكَّل على الله)، وهذا التركيب يندرج تحت الفعل الكلاميِّ التوجيهيِّ (directive)، إذ يهدف الإمام إلى دفع المتلقِّي لتبنِّي سلوك معيَّن لتحقيق غاية روحيَّة ومعنويَّة.

والنيَّة القصديَّة توجيه المتلقِّي نحو تعزيز الإيمان والاعتماد على الله (سبحانه وتعالى) كمصدر للقوَّة، بدلاً من الاعتماد على القوى الدنيويَّة، والسؤال الضمنيُّ يحفِّز المتلقِّي على التفكير في طموحه الشخصيِّ (القوَّة)، ثُمَّ يعيد توجيه هذا الطموح نحو بعد إيمانيٍّ، والقول يخلق تفاعلاً مع المتلقِّي من خلال تحفيزه على تقييم قوَّته الذاتيَّة وقيمتها في ضوء التوكُّل على الله عزَّ وجلَّ، وبهذا يغدو أداة تربويَّة لإعادة تشكيل المواقف المعرفيَّة والروحيَّة.

وفي العصر العباسيِّ الذي تميَّز بالضغوط السياسيَّة والاجتماعيَّة على الإمام الكاظم عليه السلام وأتباعه، كانت القوَّة الروحيَّة والإيمانيَّة ضرورة لمواجهة التحدِّيات، والإمام بعلمه وحكمته استخدم هذا الخطاب لتعزيز صمود شيعته وأتباعه في وجه الاضطهاد، والتوكُّل على الله عزَّ وجلَّ، فالقول دعوة للتحرُّر من الاعتماد على السلطة الظالمة أو المصادر الدنيويَّة، وهو ردٌّ مباشر على السياق السياسيِّ الذي حاول تقويض تأثير الأئمَّة.

---

١٣ المجلسي, محمد باقر. بحار الأنوار, ط٢ بيروت: دار إحياء التراث العربي, (١٤٠٣هـ), ٣٢٧.

ومن جانب آخر فإنَّ القول يعيد توجيه الفكر من السعي وراء القوَّة الدنيويَّة إلى القوَّة الإيمانيَّة، وهي وظيفة بلاغيَّة تتماشى مع الهدف العام للخطاب الإماميِّ في تربية الضمير وتعزيز الوعي الروحي، ويظهر القول كأداة للتوجُّه نحو الله (سبحانه وتعالى)، حيث يستخدم الإمام عليه السلام أسلوباً يحاكي السؤال الضمنيِّ لجذب انتباه المتلقِّي وتوجيهه نحو الله عزوجل، والتركيب (من أراد... فليتوكَّل) يعمل كآليَّة بلاغيَّة تحفِّز التأمُّل وتعيد صياغة الأولويَّات الفكريَّة والروحيَّة للمتلقِّي، ويحمل قصديَّة واضحة تهدف إلى توجيه المتلقِّي نحو الله عزوجل.

ب- قال الإمام الكاظم عليه السلام: **"من أراد أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده"**[١٤].

هذا القول، على غرار المثال السابق، ليس سؤالاً صريحاً، غير أنَّه يحمل سؤالاً ضمنيًّا موجَّهًا للمتلقِّي، (هل تريد أن تكون أغنى الناس؟)، ثُمَّ يليه توجيه مباشر، أو إجابة (فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده)، وهذا القول يندرج تحت الفعل الكلاميِّ التوجيهيِّ (directive) أيضاً، حيث يهدف الإمام عليه السلام إلى توجيه المتلقِّي نحو سلوك إيماني محدَّد، وهو الثقة بما عند الله عزوجل بدلاً من الاعتماد على الممتلكات الدنيويَّة، ونيَّة الإمام عليه السلام هنا هي إعادة صياغة مفهوم الغنى من منظور مادِّيٍّ إلى منظور روحيٍّ وإيمانيٍّ، والقول يخلق تفاعلاً مع المتلقِّي من خلال دعوته لمراجعة قيمه المادِّيَّة وإعادة توجيه أولويَّاته نحو الإيمان والثقة بالله، ويجيء في العصر العباسيِّ، الذي شهد تنافساً ماديًّا وصراعات سياسيَّة، إذ كان مفهوم الغنى غالباً مرتبطاً بالسلطة والثروة، والسؤال الضمنيُّ يعكس حكمة الإمام عليه السلام في التعامل مع التحدِّيات بأسلوب غير مباشر، يعزِّز الثبات الإيمانيَّ دون مواجهة مباشرة مع السلطة.

١٤ الحراني, ابن شعبة .تحف العقول, ط٢ قم: مؤسسة النشر الإسلامي, (١٤٠٤هـ), ٣٠٤.

أمَّا من حيث الوظيفة البلاغيَّة فإنَّ عبارة (من أراد أن يكون أغنى الناس) تعمل كسؤال بلاغيٍّ ضمنيٍّ، يجذب انتباه المتلقِّي إلى رغبته في الغنى، وهذا الاستدعاء يحفِّز التفكير في تعريف الغنى الحقيقيَّ، لتأتي الإجابة اللاحقة (فليكن بما في يد الله أوثق) أكثر تأثيراً، والقول يقنع المتلقِّي بأنَّ الغنى الحقيقيَّ لا يكمن في الممتلكات المادِّيَّة، بل في الثقة بالله ﷻ مصدر الرزق، ويعيد توجيه الفكر من السعي وراء الثروة الدنيويَّة إلى الثقة بالله ﷻ، وهو ما يتساوق مع الهدف البلاغيِّ للخطاب الإماميِّ في تحويل الأولويَّات من المادِّيَّة إلى الروحيَّة.

ومن حيث الأثر التربويِّ والروحيِّ فالقول يحثُّ المتلقِّي على محاسبة النفس وإعادة تقييم علاقته بالثروة والممتلكات، والثقة بما عند الله ﷻ تعزِّز القناعة الداخليَّة والرضا، وتساعد على التغلُّب على الطمع والخوف من الفقر، والسؤال الضمنيُّ يبني وعياً دينيًّا يركِّز على الارتباط بالله ﷻ مصدر الرزق والأمن، فغايته ﷺ توجيه المتلقِّي نحو الله تعالى، وأداته في ذلك السؤال الضمنيُّ وقوله (من أراد) يعمل كآليَّة بلاغيَّة تحفِّز التأمُّل في الطموح الشخصيِّ، وبناءً على ما سبق يمكن القول: إنَّ هذا القول يعكس استخداماً بلاغيًّا وتداوليًّا لخطاب يحمل سؤالاً ضمنيًّا يهدف إلى توجيه المتلقِّي نحو الله تعالى، وهو مثال نموذجيٌّ لكيفيَّة استخدام الإمام للخطاب لإعادة تشكيل المواقف وتوجيه القلوب نحو الله ﷻ.

ج- قال الإمام الكاظم ﷺ: **"يا هشام، إنَّ الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبِّر الجبَّار، لأنَّ الله تعالى جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبُّر من آلة الجهل"**[١٥].

لا يتضمَّن القول سؤالاً صريحاً، إلَّا أنَّه يحمل سؤالاً ضمنيًّا موجَّهًا إلى المتلقِّي (هشام)، والمستمعين بشكل عام، وقد يكون السؤال مثلاً: هل تريد أن تكون

١٥ الحراني, ١٥٣.

حكيماً؟ أو ما الذي يجعل الحكمة تنمو في القلب؟ والقول يبدأ بالحديث عن الزرع الذي ينبت في السهل لا في الصفا، ثُمَّ يليه توجيه مباشر يربط الحكمة بالتواضع والتكبُّر بالجهل، ويندرج هذا التركيب تحت الفعل الكلاميِّ التوجيهيِّ (directive)، والإفصاحيِّ (assertive)، إذ يهدف الإمام عليه السلام إلى توجيه المتلقِّي نحو سلوك أخلاقيٍّ -وهو التواضع- وربطه بالحكمة كقيمة إيمانيَّة، مع تقديم بيان واضح عن علاقة التواضع بالعقل والتكبُّر بالجهل، والنيَّة القصديَّة للإمام الكاظم عليه السلام توجيه المتلقِّي نحو تبنِّي التواضع بوصفه خلقًا إيمانيًّا يقود إلى الحكمة، وتحذيره من التكبُّر الذي يقود إلى الجهل، والسؤال الضمنيِّ يحفِّز المتلقِّي على التفكير في حالة قلبه (أمتواضع أو متكبِّر؟) وعلاقتها بالحكمة.

ويراعي هذا القول السياق التاريخيَّ والاجتماعيَّ، ففي العصر العباسيِّ كان التكبُّر سمة شائعة بين السلطات والنّخب التي سعت إلى فرض هيمنتها، والإمام الكاظم عليه السلام، في ظلِّ هذه الظروف، جاء هذا القول لتعزيز القيم الأخلاقيَّة والروحيَّة لدى أتباعه، موجِّهًا إيَّاهم نحو التواضع بوصفه وسيلة لمواجهة التكبُّر الذي كان يمثِّل تحدِّيًا اجتماعيًّا وأخلاقيًّا، وقد استخدم لغة بسيطة وقريبة من الفهم العام، وهذا ما جعل الخطاب فعَّالاً في سياق مجتمع متنوِّع واقع تحت ضغط سياسيٍّ، والقول يعكس رؤية الإمام عليه السلام في التربية الروحيَّة دون مواجهة مباشرة مع السلطة.

وقوله: (إنَّ الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا) يعمل كسؤال بلاغيٍّ ضمنيٍّ، يجذب انتباه المتلقِّي ويدفعه للتفكير في طبيعة قلبه، وربط التواضع بالحكمة والتكبُّر بالجهل غايته الإقناع، إذ يقنع الإمام المتلقِّي بأنَّ التواضع هو الطريق إلى الحكمة الحقيقيَّة، بينما التكبُّر يقود إلى الجهل، وهو خسارة روحيَّة وفكريَّة، ومن جانب آخر فإنَّ القول يعيد توجيه الفكر من السعي وراء المظاهر الدنيويَّة

(التكبُّر) إلى القيم الإيمانيَّة (التواضع)، ويتماشى مع الهدف البلاغيِّ للخطاب الإماميِّ في تعزيز الوعي الروحيِّ.

وعبارة (لأنَّ الله تعالى جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبُّر من آلة الجهل) تقدِّم تحدِّيًا فكريًّا يدفع المتلقِّي للتفكير في العلاقة بين الأخلاق والعقل، مع التأكيد على أنَّ هذا النظام إلهيُّ المصدر،

وجليٌّ أنَّ القول يحثُّ المتلقِّي على محاسبة النفس وتقييم حالة القلب، والتواضع -كما يقدِّمه الإمام ﷺ- هو خلق يفتح القلب للحكمة، بينما التكبُّر يغلقه، ويدفع المتلقِّي إلى السعي لتنمية التواضع كجزء من تربيته الذاتيَّة، ويُسهم في بناء وعي دينيٍّ وأخلاقيٍّ يركِّز على التواضع كقيمة إيمانيَّة مركزيَّة، ويدفع المتلقِّي للتوجُّه نحو الله (سبحانه وتعالى) حيث يربط التواضع بالحكمة كآلة إلهيَّة (جعل الله تعالى).

٢- السؤال لتصحيح مفهوم العبادة الحقيقيَّة:

أ- قال الإمام الكاظم ﷺ: **"صلاة النوافل قربان إلى الله لكلِّ مؤمن"**[١٦].

لا ينطوي القول على سؤال صريح، غير أنَّه يحمل سؤالاً ضمنيًّا موجَّهًا إلى المتلقِّي، وهو (هل تريد التقرُّب إلى الله؟ أو ما الذي يقرِّبك إلى الله؟)، ثُمَّ يتبعه جواب (صلاة النوافل قربان إلى الله لكلِّ مؤمن)، هذا التركيب يندرج تحت الفعل الكلاميِّ الإفصاحيِّ (assertive) والتوجيهيِّ (directive)، إذ يبتغي الإمام ﷺ تقديم بيان واضح عن قيمة صلاة النوافل كوسيلة للتقرُّب إلى الله ﷻ، مع توجيه المتلقِّي نحو سلوك عباديٍّ محدَّد، وهو أداء النوافل لتصحيح فهمه للعبادة الحقيقية.

وقصديَّة القول تتجلَّى من خلال نيَّة الإمام ﷺ في إعادة صياغة مفهوم العبادة لدى المتلقِّي، ليفهم أنَّ العبادة الحقيقيَّة ليست مجرَّد أداء الفرائض، بل تشمل

١٦ الحراني, ٣٠٤.

النوافل كوسيلة للتقرُّب إلى الله عزوجل، فالسؤال الضمنيِّ حفَّز المتلقِّي على التفكير في علاقته بالله وكيفيَّة تعميقها من خلال العبادة الطوعيَّة، وخلق تفاعلاً مع المتلقِّي من خلال تقديم صلاة النوافل كفعل عباديٍّ يناسب (كلّ مؤمن).

ومن الناحية التداوليَّة يعكس هذا القول قصديَّة تربويَّة تهدف إلى تصحيح مفهوم العبادة بجعله أكثر شموليَّة، إذ يتحدَّى الفهم السطحيُّ الذي قد يقتصر على الفرائض، ويبرز البعد الروحيَّ للنوافل كعمل طوعيٍّ يعكس إخلاص المؤمن.

وإذا نظرنا إلى السياق التاريخيِّ والاجتماعيِّ الذي جاء فيه هذا القول فإنَّنا نجد أنَّ هناك ميلاً لدى البعض في العصر العباسيِّ إلى التركيز على الطقوس الدينيَّة الظاهريَّة أو الفرائض فقط، تحت تأثير الظروف السياسيَّة والاجتماعيَّة، والإمام عليه السلام في هذا السياق يستخدم هذا القول لتعزيز مفهوم العبادة الحقيقيَّة التي تتجاوز الالتزام الشكليَّ إلى الإخلاص الروحيِّ، وكلمة (قربان) تشير إلى التقرُّب الشخصيِّ إلى الله عزوجل، وتعكس حكمة الإمام عليه السلام في توجيه أتباعه نحو عبادة قلبيَّة في زمن التحدِّيات.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ القول يظهر بوصفه خطاباً ذكيًّا يواجه السياق السياسيَّ الذي حاول تقويض التديُّن العميق، واللافت أنَّ الإمام عليه السلام يستخدم لغة بسيطة وشاملة (لكلِّ مؤمن)، والسؤال البلاغيُّ الضمنيُّ (ما الذي يقربك إلى الله عزوجل؟)، يجذب انتباه المتلقِّي ويدفعه للتفكير في قيمة العبادة الطوعيَّة، وغايته إقناع المتلقِّي بأنَّ صلاة النوافل وسيلة أساسيَّة للتقرُّب إلى الله سبحانه وتعالى، ومن ناحية أخرى فإنَّ القول يعيد توجيه مفهوم العبادة من التركيز على الفرائض فقط إلى تضمين النوافل كجزء من العبادة الحقيقيَّة، أي إنَّ السؤال ههنا صحَّحَ مفهوم العبادة الحقيقيَّة.

والقـول يعتمـد عـلى الإيجـاز، ويوصـل فكـرة معقَّـدة بطريقـة بسـيطة ومؤثِّـرة، ومـن ناحيـة الأثـر التربـويِّ والروحـيِّ فـإنَّ القـول يحـثُّ المتلقِّـي عـلى محاسـبة النفـس وتقييـم إخلاصـه في العبـادة، ويعيـد تشـكيل الوعـي عـبر ربـط النوافـل بالتقـرُّب إلى الله ﷻ.

والقـول يعكـس قصديَّة تربويَّـة تهدف إلى توجيه المتلقِّي نحو فهم أعمق للعبادة، ويتماشـى مع الإطار التداوليِّ للسـؤال كوسـيلة لإعادة تشـكيل المواقف المعرفيَّة والروحيَّة.

ب- قال الإمام الكاظم ﷺ: **"أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج"**[١٧].

القـول فيـه سـؤال ضمنـيٌّ موجَّـه إلى المتلقِّـي، وهـو (مـا هـي أفضـل العبـادة؟ أو كيـف يمكـن تحقيـق العبـادة الحقيقيَّـة؟)، ويتبعـه بيـان مبـاشر (أفضـل العبـادة بعـد المعرفـة انتظـار الفـرج)، هـذا التركيـب ينـدرج تحـت الفعـل الكلامـيِّ الإفصاحـيِّ (assertive) والتوجيهـيِّ (directive)، لأنَّ الإمـام ﷺ يهـدف إلى تقديـم تعريـف لأفضـل أشـكال العبـادة (المعرفـة وانتظـار الفـرج) مـع توجيـه المتلقِّـي نحـو سـلوك إيـمانيٍّ يعكـس الإخـلاص والصـبر.

وتتمثَّـل القصديَّـة ههنـا في تصحيـح مفهـوم العبـادة الحقيقيَّـة بإبـراز المعرفـة كأسـاس لهـا، وانتظـار الفـرج كتجسـيد للإيـمان والصـبر، والسـؤال يحفِّـز المتلقِّـي عـلى التفكـير في جوهـر العبـادة، ويوجِّهـه نحـو قيمـة روحيَّـة، وسـلوك إيـمانيٍّ وهـو انتظـار الفـرج.

والقـول يخلـق تفاعـلاً مـع المتلقِّـي مـن خـلال تقديـم ترتيـب هرمـي للعبـادة، (المعرفـة ثُـمَّ انتظـار الفـرج)، يدفـع المتلقِّـي لإعـادة تقييـم فهمـه للعبـادة، ويعكـس القـول عـلى المسـتوى التـداوليِّ قصديَّـة تربويَّـة تهـدف إلى إعـادة تعريـف العبـادة بعيـداً عـن الطقـوس الشـكليَّة.

---

١٧ الحراني, ٣٠٤.

وقد شهد العصر العباسيُّ -كما أشرنا- ضغوطًا سياسيَّة واجتماعيَّة على الإمام الكاظم عليه السلام وأتباعه، لذا فإنَّ مفهوم (انتظار الفرج) يحمل دلالات خاصَّة، إذ ارتبط بتوقُّع الخلاص والعدالة عبر ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه، وفي توظيفه لهذا المفهوم تعزيز للصبر والإيمان بالله عز وجل مصدر الفرج، وتوظيف المعرفة بوصفها أساسًا للعبادة يعكس حاجة المجتمع إلى وعي دينيٍّ يقاوم التضليل والانحرافات الفكريَّة التي روجتها السلطة آنذاك، ويظهر وعي الإمام عليه السلام لأهمِّيَّة تعزيز الصمود الروحيِّ في وجه الاضطهاد.

والقول يقنع المتلقِّي بأنَّ العبادة الحقيقيَّة تبدأ بالمعرفة (الإيمان العقليّ)، وتكتمل بانتظار الفرج (الصبر الإيمانيّ)، ويعزِّز قيمة العبادة الشاملة، ويعيد توجيه مفهوم العبادة من التركيز على الأفعال الشكليَّة إلى تضمين المعرفة وانتظار الفرج كجزء أساس منها.

والبلاغة في القول تكمن في إيجازه، وقوَّة الربط بين المعرفة وانتظار الفرج، وشموليَّة الخطاب تجعله فعَّالاً، ويتبدَّى الأثر التربويُّ والروحيُّ في خطاب السؤال كونه يحثُّ المتلقِّي على محاسبة النفس وتقييم إيمانه من خلال المعرفة والوعي بالله، وانتظار الفرج والصبر والثقة بالله، ومن ناحية أخرى فإنَّ القول يُسهم في بناء وعيٍّ دينيٍّ يركِّز على الفهم العقليِّ والإيمانيِّ، ويحقِّق هدفًا مباشرًا ألا وهو تصحيح فهم العبادة الحقيقيَّة.

وبناءً على ما سبق فإنَّ القول يعكس قصديَّة تربويَّة تهدف إلى إعادة صياغة العبادة بوصفها عمليَّة فكريَّة وروحيَّة، مع التركيز على المعرفة وانتظار الفرج، وبلاغته تتجلَّى في الإيجاز والقوَّة الدلاليَّة، وتجعله أداة فعَّالة لتحقيق الأهداف الروحيَّة والتربويَّة، والخطاب يصحِّح الفهم السطحيَّ للعبادة بإبراز أهمِّيَّة

الوعـي الإيـمانيِّ والصـبر الروحـيِّ.

٣- السؤال بوصفه وسيلة لاستنهاض الامتثال الحقيقيِّ للأوامر الإلهيَّة:

أ- قـال الإمـام الكاظـم ﷺ: **"تفقَّهـوا في ديـن الله، فـإنَّ الفقـه مفتـاح البصـيرة، وتمـام العبـادة، والسـبب إلى المنـازل الرفيعـة والرتـب الجليلـة في الديـن والدنيـا"**[١٨].

يبـدأ القـول بأمـر مبـاشر: (تفقَّهـوا في ديـن الله)، لكنَّـه يحمـل سـؤالًا ضمنيًّـا موجَّهًـا إلى المتلقِّـي، (هـل تريـدون البصـيرة وتمـام العبـادة؟ أو كيـف تصلـون إلى المنـازل الرفيعـة؟)، والسـؤال متبـوع ببيـان تفسـيريٍّ يـبرز أهمِّيَّـة الفقـه بوصفـه مفتاحًـا للبصـيرة وتمـام العبـادة.

والتركيـب ينـدرج تحـت الفعـل الكلامـيِّ التوجيهـيِّ (directive)، إذ يحـثُّ الإمـام المتلقِّـي عـلى التفقُّـه في الديـن، والإفصاحـيِّ (assertive)، لأنَّـه يتضمَّـن بيانـاً عـن قيمـة الفقـه ونتائجـه الروحيَّـة والدنيويَّـة، وتـبرز القصديَّـة مـن خـلال نيَّـة الإمـام في اسـتنهاض المتلقِّـي للامتثـال الحقيقـيِّ للأوامـر الإلهيَّـة مـن خـلال التفقُّـه، الـذي يُعـدُّ أساسًـا لفهـم الديـن بعمـق وتطبيقـه بوعـي، والسـؤال يحفِّـز المتلقِّـي عـلى التفكـير في أهمِّيَّـة العلـم الشرعـيِّ بوصفـه وسـيلة لتحقيـق البصـيرة والرفعـة، ويخلـق تفاعـلاً مـع المتلقِّـي مـن خـلال الأمـر المبـاشر (تفقَّهـوا) والبيـان التفسـيريّ الـذي يدفـع المتلقِّـي لإعـادة تقييـم علاقتـه بالعلـم الدينـيِّ ودوره في الامتثـال لله ﷻ، والقصديَّـة في الخطـاب تربويَّـة وتحفيزيَّـة، تهـدف إلى دفـع المتلقِّـي نحـو الالتـزام الواعـي بالديـن.

والتفقُّـه في الديـن في العـصر العبـاسيِّ الـذي شـهد اضطهـادًا سياسـيًّا وتضليـلاً فكريًّـا ضرورة للحفـاظ عـلى الهُويَّـة الدينيَّـة وسـط محـاولات السـلطة لفـرض روايـات دينيَّـة مواليـة لهـا، لـذا فـإنَّ الإمـام الكاظـم ﷺ اسـتخدم هـذا القـول لتعزيـز الوعـي

١٨ المجلسي, بحار الأنوار, ٢٤٧.

الدينيِّ، وهو إحدى الوسائل للصمود أمام التحدِّيات، وكلمة (الفقه) تشير إلى الفهم العميق للدين، وتعكس حاجة المجتمع إلى علم يقاوم الانحرافات الفكريَّة والشكليَّة في التديُّن، والربط بين الفقه والمنازل الرفيعة في الدين والدنيا يجعل الخطاب محفِّزًا وشاملاً، والسؤال الضمنيُّ يجذب انتباه المتلقِّي ويدفعه للتفكير في أهمِّيَّة الفقه بوصفه وسيلة للامتثال الحقيقيِّ.

وقوله: (فإنَّ الفقه مفتاح البصيرة...) يقنع المتلقِّي بأنَّ الفقه مفتاح للبصيرة وتمام العبادة، مع فوائد دنيويَّة وأخرويَّة (المنازل الرفيعة)، ويعيد توجيه مفهوم الامتثال من الأفعال الشكليَّة إلى الفهم العميق والواعي للدين، والخطاب يعتمد على الإيجاز والتسلسل المنطقين، ويحثُّ المتلقِّي على محاسبة النفس وتقييم مستوى فهمه للدين، ويُسهم في بناء وعي دينيٍّ يركِّز على الفهم العميق كأساس للامتثال للأوامر الإلهيَّة.

ب- قال الإمام الكاظم عليه السلام: **"ليس منَّا من لم يحاسب نفسه في كلِّ يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئًا استغفر الله وتاب إليه"**[١٩].

يحمل القول سؤالاً ضمنيًّا موجَّهًا إلى المتلقِّي، وهو: (هل أنت منَّا؟ أو هل تحاسب نفسك يومياً؟)، هذا السؤال الضمنيُّ يتبعه حثٌّ على محاسبة النفس كجزء من الامتثال الحقيقيِّ، مع بيان نتائجها، التي تتمثَّل في الاستزادة من الحسنات أو التوبة من السيئات.

والتركيب يندرج تحت الفعل الكلاميِّ التوجيهيِّ (directive)، لأنَّ الإمام يحثُّ المتلقِّي على تبنِّي سلوك محاسبة النفس، والإفصاحيِّ (assertive)، لأنَّه يقدِّم بياناً عن أهمِّيَّة هذا السلوك ونتائجه الروحيَّة، وقصديَّة الإمام عليه السلام تتمثَّل في استنهاض المتلقِّي للامتثال الحقيقيِّ للأوامر الإلهيَّة من خلال محاسبة النفس

١٩ العاملي, الشيخ محمد بن الحسن الحر. وسائل الشيعة ج ١٦. الحديث ٢١٠٧٤. ط٥ بيروت: دار إحياء التراث العربي, (١٤٠٩هـ), ٩٥.

اليوميَّة، التي تعزِّز الوعي الذاتيَّ والإخلاص في العبادة.

والسؤال يحفِّز المتلقِّي على التفكير في التزامه الشخصيِّ وعلاقته بالله ﷻ، ويخلق تفاعلاً معه من خلال عبارة (ليس منا)، التي تحمل طابع التحدِّي الفكريِّ والروحيِّ، وتدفع المتلقِّي لتقييم انتمائه الإيمانيِّ وسلوكه اليوميِّ، ويُعَدُّ هذا القول ملائماً للسياق التاريخيِّ والاجتماعيِّ في العصر العباسيِّ، إذ كان هناك حاجة ماسَّة إلى تعزيز الوعي الذاتي والالتزام الداخليِّ لمواجهة التضليل والاضطهاد، وعبارة (ليس منا) تعكس أهمِّيَّة الانتماء إلى المجتمع المتمسِّك بالقيم الإيمانيَّة في وجه التحدِّيات، والخطاب عامَّة يعكس حكمة الإمام ﷺ في استخدام خطاب تحفيزيٍّ يقاوم الانحرافات الأخلاقيَّة والفكريَّة، فهو يقنع المتلقِّي بأنَّ محاسبة النفس هي جوهر الامتثال الحقيقيِّ، ويربط بين الحسنات والاستزادة والسيئات والتوبة، ويجعلها عمليَّة شاملة للإصلاح الذاتي، ويعيد توجيه مفهوم الامتثال من الأفعال الخارجيَّة إلى الوعي الداخليِّ والمحاسبة الذاتيَّة، والخطاب يعتمد على الإيجاز والقوَّة الدلاليَّة، خاصَّة في الربط بين المحاسبة، ويحضر الأثر التربويُّ والروحيُّ فيه من خلال دفع المتلقِّي لمحاسبة النفس يومياً، وقد برز السؤال الضمنيُّ بوصفه أداة بلاغيَّة لاستنهاض الامتثال الحقيقيِّ، والخطاب عكس قصديَّة تربويَّة تهدف إلى توجيه المتلقِّي نحو محاسبة النفس كوسيلة للالتزام.

الخاتمة:

يكشف هذه البحث، من خلال مقاربة تداوليَّة بلاغيَّة لخطاب الإمام الكاظم عليه السلام، عن بُعد غير نمطي في تراثه الفكريِّ، يجمع بين الأدب الرفيع، والوعظ المؤثِّر، والإقناع العميق، فقد اتَّضح أنَّ خطاب الإمام عليه السلام لم يكن مجرَّد تعبير لغويٍّ أو أداء وعظيٍّ تقليديٍّ، بقدر ما كان يحمل طابعاً مقاصديًّا دقيقًا، يربط بين البنية اللُّغويَّة والوظيفة التربويَّة والمعرفيَّة.

ومن خلال تحليل أبعاد السؤال في خطاباته، يتبيَّن أنَّه يُستخدم كوسيلة بلاغيَّة وتربويَّة تستنهض الضمير، وتوقظ الفكر، وتحفِّز المتلقِّي على إعادة النظر في قناعاته ومسلكيَّاته، في ظلِّ سياق سياسيٍّ واجتماعيٍّ ضاغط فرضته السلطة العبَّاسيَّة.

وقد أظهرت الدراسة أنَّ الإمام الكاظم عليه السلام استخدم السؤال بوصفه آليَّة لإعادة توجيه الفكر نحو مقاصد روحيَّة وأخلاقيَّة أعمق، محوِّلاً إيَّاه إلى أداة لصياغة الوعي، وترسيخ القيم الإيمانيَّة، وإعادة ترتيب الأولويات بين المادِّيِّ والروحيِّ، وهذا التوظيف المتميز للسؤال يكشف عن تصوُّر نظريٍّ متقدِّم لإمكاناته التربويَّة والتوجيهيَّة، إذ يغدو السؤال وسيلةً لإثارة الفكر النقديِّ، وتربية الضمير الدينيِّ، وتحقيق التواصل الفعَّال بين المتكلِّم والمتلقِّي ضمن أطر تتجاوز المعنى الظاهري إلى البعد المقاصديِّ العميق.

وقد تبيَّن أنَّ خطاب الإمام الكاظم عليه السلام يمثِّل مدرسة بلاغيَّة حيَّة، تُعيد تعريف السؤال كفعل تواصليٍّ مُحمَّل بالقصد والمعنى، وكمفتاح لإعادة تشكيل التصوُّرات، وبناء الوعي المقاوم في مواجهة التحدِّيات الفكريَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة.

وهكـذا يتَّضـح أنَّ شـخصيَّة الإمـام الكاظـم ﷺ وخطابـه لم يكونـا بمعـزل عـن واقـع عـصره، بـل كانـا نتاجـاً لتفاعلـه مـع سـياق سـياسيٍّ واجتماعـيٍّ بالـغ التعقيـد، وأنَّـه اسـتطاع بعلمـه وورعـه وصـبره وحكمتـه، أن يواجـه تلـك التحدِّيـات بحنكـة متفـرِّدة، مسـتثمراً أدوات متعـدِّدة -ومنهـا السـؤال- لتوجيـه الأمَّـة وبنـاء وعيهـا الدينـيِّ والروحـيِّ، مقدِّمـاً بذلـك نموذجـاً فريـداً للقائـد والمـربِّي في زمـن الاضطرابـات والضغـوط.

المصادر:

الأكرف, حسين. سيرة الأئمة المعصومين. ط٣. بيروت: دار الفكر, ١٩٩٨.

الجابر, علي. التاريخ السياسي والاجتماعي للأئمة. ط١. قم: دار التوحيد, ٢٠٠٤.

الحراني, ابن شعبة. تحف العقول. ط٢. قم: مؤسسة النشر الإسلامي, ١٤٠٤هـ.

العاملي, الشيخ مُحَمَّد بن الحسن الحر. وسائل الشيعة ج ١٦. ط٥. بيروت: دار إحياء التراث العربي, ١٤٠٩هـ.

العمري, مُحَمَّد. التداولية وتحليل الخطاب. ط١. عمان: دار الفجر, ٢٠١٥.

المازني, عبد الله. سير أعلام الشيعة، ج٢. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية, ١٩٩٩.

المجلسي, مُحَمَّد باقر. بحار الأنوار. ط٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي, ١٤٠٣هـ.

أبو شاكر, فريد. تاريخ الإسلام السياسي. ط٢. بيروت: دار النهضة العربية, ٢٠٠٥.

بوفي, هارولد. أفعال الكلام والتواصل. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية, ٢٠٠٧.

جينينغز, تيريزا. خطاب وفعل الكلام. ط٢. لندن: مطبعة جامعة أكسفورد, ٢٠١٤.

حسن, سليم. نظرية التداولية في اللغة والبلاغة. ط٣. القاهرة: مكتبة مدبولي, ٢٠١٧.

سيرل, جون. أفعال الكلام. ترجمة مصطفى عبد الرازق. ط٢. دمشق: دار المدى, ٢٠٠٨.

غريمز, بول. نظرية الأفعال الكلامية. مطبعة جامعة كامبريدج, ٢٠٠٥.

ل. إيفانز, كاثرين. مقدمة في تحليل الخطاب التداولي. ترجمة أحمد عبد الغني. ط١. عمان: دار اليازوري العلمية, ٢٠١١.

References

Al-Akraf, H. (1998). Sirat al-A'immah al-Ma'sumin. (3rd ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Fikr.

Al-Jaber, A. (2004). Al-Tarikh al-Siyasi wal-Ijtima'i lil-A'immah. (1st ed.). Qom, Iran: Dar al-Tawhid.

Al-Harani, I. S. (1404H). Tuhf al-'Uqul. (2nd ed.). Qom, Iran: Mu'assasat al-Nashr al-Islami.

Al-'Amili, S. M. b. al-H. al-H. (1409H). Wasa'il al-Shi'ah. (5th ed.). Beirut, Lebanon: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.

Al-'Omari, M. (2015). Al-Tadawuliyyah wa Tahlil al-Khitab. (1st ed.). Amman, Jordan: Dar al-Fajr.

Al-Mazni, A. (1999). Siyar A'lam al-Shi'ah. (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Majlisi, M. B. (1403H). Bihar al-Anwar. (2nd ed.). Beirut, Lebanon: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.

Abu Shakir, F. (2005). Tarikh al-Islam al-Siyasi. (2nd ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Nahdah al-'Arabiyyah.

Boufie, H. (2007). Af'al al-Kalam wal-Tawasul. (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Jennings, T. (2014). Khitab wa Fi'l al-Kalam. (2nd ed.). London, UK: Oxford University Press.

Hassan, S. (2017). Nazariyyat al-Tadawuliyyah fi al-Lughah wal-Balaghah. (3rd ed.). Cairo, Egypt: Maktabat Madbouli.

Searle, J. (2008). Af'al al-Kalam. (M. Abd al-Raziq, Trans.). (2nd ed.). Damascus, Syria: Dar al-Mada.

Grimes, B. (2005). Nazariyyat al-Af'al al-Kalamiyyah. Cambridge University Press.

L. Evans, C. (2011). Muqaddimah fi Tahlil al-Khitab al-Tadawuli. (A. A. al-Ghani, Trans.). (1st ed.). Amman, Jordan: Dar al-Yazouri al-'Ilmiyyah.